سورة الانفطار تشابه سورتي التكوير قبلها، و الانشقاق بعدها، وقد ورد فيها حديث: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾)رواه الترمذي[1].

ومن مقاصد هذه السورة:

المقصد الأول: الإيمان باليوم الآخر، وبيان أهوال القيامة.

المقصد الثاني: بيان ربوبية الله، وعظيم منته على الإنسان .

المقصد الثالث: الرد على منكري البعث .

المقصد الرابع: إثبات الحساب والجزاء .

المقصد الخامس: الإيمان بالملائكة .

المقصد السادس: الإيمان بالجنة والنار .

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾: (إذا) شرطية، ومعنى ﴿ٱنفَطَرَتْ﴾أي انشقت، وتصدعت، كما قال اللهﷻ: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾[الحاقة1]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ [الانشقاق:١].

---

[1] سنن الترمذي (3333)، مسند أحمد (4806) وصححه الألباني.

﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾: ﴿ٱلْكَوَاكِبُ﴾ هي النجوم، ومعنى﴿ٱنتَثَرَتْ﴾: أي تساقطت، وتفرقت، يعني كأنها تساقطت متفرقة .

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾: أي امتلأت، وفاضت، وانفتح بعضها على بعض، بأن يطغى الماء، فيدخل ماء البحر على ماء النهر. وقيل في معنى ﴿فُجِّرَتْ﴾ ما تقدم من المعاني في سورة التكوير؛ أنها بمعنى (سجرت) أي تسجر، وتشتعل، فيكون هذا بمنزلة التفجير. ويقول بعض المعاصرين، إنه يمكن أن يكون هذا التفجير يرجع إلى الطبيعة الذرية لمكونات الماء ، فالماء عند أهل الفيزياء مكون من ذرتي هيدروجين،وذرة أكسجين، وأنه يقع اختلال في النظام النووي لهذا التكوين، فيقع انفجارات هائلة بسبب ذلك، كانفجار القنابل الذرية ، والله أعلم.

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾: ﴿ٱلْقُبُورُ﴾ هي مدافن الموتى، ومعنى﴿بُعْثِرَتْ﴾ أي نبشت، وقلبت، وأثيرت، وبعث من فيها .

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾: ﴿نَفْسٌ﴾ يعني كل نفس ﴿مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ اختلف المفسرون في التقديم والتأخير، مع اتفاقهم على أن ذلك متعلق بالعمل. فذهب بعضهم إلى أن المقصود بقوله ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ أي من عمل صالح، وبقوله ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ أي من عمل صالح بعد موتها، كقول النبي ﷺ: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ "رواه مسلم[٢] . يعني ما قدمت من عمل صالح، أو أخرته، وأجرته بعد موتها، كالأوقاف، والوصايا، وما أشبه. وقال بعضهم: ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ يعني ما أدت من الواجبات، والفرائض، ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ ما تركت، وأهملت من الواجبات، والفرائض، وذهب فريق ثالث إلى العموم، وأن المراد ما قدمت من خير أو شر، وأخرت من خير أو شر، وعلى كل حال، فالآية تدل على علم الإنسان يقيناً يوم القيامة

---

[٢] صحيح مسلم (1631).

بحصيلة عمله من خير أو شر. والعموم أولى بالأخذ، لقول الله تعالى﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾[آل عمران:٣٠]، وقوله:﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[الزلزلة:٧-٨]). وجواب الشرط: قوله ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾: هذا الأسلوب فيه عتاب مؤثر للغاية. ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ ذكر بعض المفسرين أن لمراد بالإنسان، في القرآن المكي، الإنسان الكافر، لا جنس الإنسان. ﴿مَا غَرَّكَ﴾) "ما" استفهامية، والمعنى: ما الذي زين لك، وسول لك، فهذا استفهام إنكاري، ينكر على هذا الإنسان المنفلت، تركه لعبادة الله ﷻ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ هو رب بمعنى خالق ، ورازق، ومدبر، وفوق ذلك هو كريم عليه، ولطيف به، فأي شيء غرك به، وسول لك ترك عبادته، وزين لك معصيته ؟!

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾: معنى ﴿خَلَقَكَ﴾ أي أنشأك، وأوجدك من العدم، فقد أوجد أبانا آدم، عليه السلام، من العدم. ومعنى ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ أي عَدّل خلقك، وكملك، فصرت مستقيم القامة ، لست كهيئة الحيوانات التي تمشي على أربع، بل أنت معتدل مستقيم. ومعنى ﴿فَعَدَلَكَ﴾: أي جعلك على هيئة حسنه معتدلة .

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ أي أنه لو شاء ركبك في أي صورة ، فلو شاء لجعلك مسخاً، لكنه جعلك في صورة كريمة، وهي هذه الصورة التي خلقك عليها، إما أن تنزع بشبهك إلى أمك، أو إلى أبيك، أو إلى عمك، أو إلى خالك، وهذا من بديع خلق الله، فلا تجد بشرين متطابقين تمام المطابقة، وهذه سعة لا يملكها أحد إلا الله، لكل إنسان صورة مستقلة، متفردة، حتى التوائم المتشابهة، التي تخرج من انفلاق بويضة مخصبة واحدة، لا يمكن أن تتطابق، بل تجد بينهما فروقاً. لكن هذه الصور، منها صور متباينة، ومنها صور متقاربة في الأطوال، والألوان، والسمات، حتى إن بصمة الإنسان لا ي ماثلها بصمة! وهذا الخلق الذي

أجمل الله ذكره، يستطيع أن يتأمله كل مخاطب ؛ فالأعرابي في باديته، والأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، حينما يُسَرِّح طرفه، ويُعمل عقله، يجد عجباً، وينبهر، ويندهش من سعة خلق الله، وبديع صنعه، وتدبيره، حتى أنك تسمع من بعض العوام الذين لا يقرؤون، ولا يكتبون، استنباطات، ومعاني ما تسمعها من بعض العلماء. ثم إن العلم الحديث أتى بالعجائب، فيما يسمى بعلم وظائف الأعضاء، مما يزيد هذه المعاني وضوحاً، ويزيد الإيمان قوة ففي بدنك جهاز هضمي، وجهاز دموي، وجهاز عصبي، وجهاز عضلي، وجهاز عظمي، وجهاز تناسلي، وتركيبة نفسية معقدة! فهذا الخليط، والمزيج، في بنية واحدة، من ركَّبه ؟ من سوَّاه ؟ من عدله ؟ الله ﷻ. وتبدو محاولات البشر فيما يسمي بالإنسان الآلي، الذي يحاولون أن يدخلوا فيه بعض حركات الإنسان وتصرفاته، محاولات عبثية، يضاهئون خلق الله وأنى لهم. فهذه آية تطأطئ لها الرقاب، وتخضع لها الأعناق. ووقع هذه الآيات على النفس وقع قوي، فمن كان به خير، وأراد الله به خيراً، فإنها تهزه من الأعماق؛ لأنها تذكره بأصل نشأته، وتمرحله، وتطوره منذ أن كان جنيناً، إلى أن خرج طفلاً رضيعاً، إلى أن شب، واستوى، واستقام. هذه المؤثرات هي التي تنصع الإيمان في القلب. ولهذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، أن يتذرعوا بها، وأن يحركوا بها كوامن الفطر، وأوتار القلوب .

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾﴾: ﴿كَلَّا﴾ كلمة ردع، وزجر. ومعناها: ليس الأمر كما تظنون ، ومعنى ﴿ بَلْ ﴾: أي لكن، ﴿ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ يعني: ألا يعظكم، ألا يزجركم إقراركم بربوبية الله، فيحملكم على عبادته ؟ فالله تعالى يسوق آيات الربوبية، ليبين استحقاقه للعبادة سبحانه وبحمده. ومعنى ﴿بِالدِّينِ ﴾: أي الجزاء ، من دنته فدان، أي: ذل، وخضع ، فالله تعالى هو الذي يدين العباد ، والله تعالى قد خلق السموات والأرض بالحق، فليس من الحق أن يموت الظالم على ظلمه ، والمظلوم على مظلمته ، والمحسن على إحسانه دون ثواب ، والمسيء على إساءته دون عقاب، فلهذا كان الجزاء من دلائل البعث.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾﴾: هذه الجملة مؤكدة بأنواع المؤكدات﴿وَإِنَّ﴾،﴿عَلَيْكُمْ﴾ ، ﴿لَحَٰفِظِينَ﴾ هم الملائكة. وتأمل في لفظ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ، لم يقل "عندكم" أو "معكم" بل قال ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ليفيد التسلط والرقابة، وهو يشعر بالخشية، والرهبة، ﴿لَحَٰفِظِينَ﴾ فهم حفظة، ومؤتمنون ، وضابطون لعملهم، لا يفرط منهم شيء، كما قال في آية أخرى﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، وقال: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾: أي شرفاء، أمناء، حفظة، ضابطين، كاتبين؛ لأن الكتابة توثيق. ولهذا أمر الله تعالى بها فقال﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾: جعل الله ملائكته يحصون على العباد، ويسجلون ما يبدر منهم، من خير أو شر، لأنهم يباشرون ذلك، فإذا أوصد الإنسان الأبواب، وأرخى الستور، وظن أنه قد غاب عن الأعين، فليذكر أن معه كراماً كاتبين. فلو شعرت أنه يطلع عليك فلان، الذي تُجِلُّه، وتقدره، ستخجل، وترعوي، وتستحي من مقارفة هذا الفعل المشين أمامه ، فكيف إذا ذكرت أن معك كراماً كاتبين؟ وكيف إذا ذكرت أن الذي يراك رب العالمين؟

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾: ﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع بر، والبر هو كثير الخير؛ ولذلك سمي البر براً، لسعته. ومعنى﴿ نَعِيمٍ ﴾ النعيم: هو الجنة، وما فيها من أنواع المتع. وأتى بحرف"في" ﴿لَفِى نَعِيمٍ ﴾، ولم يقل "إن الأبرار لهم نعيم" ليعطي معنى الانغماس والانغمار، كأنهم غمسوا في النعيم غمساً، واصطبغوا به، وغمرهم من كل جانب .

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾: ﴿ ٱلْفُجَّارَ ﴾ جمع فاجر، من الفجر، وهو هتك ستر الدين ، فكأنه لما هتك ستر الدين ، وتقحم الحرمات، سمي فاجراً. ﴿جَحِيمٍ ﴾: اسم من أسماء النار، والعياذ بالله، ونقول في (في) ما قلنا في قوله ﴿لَفِى نَعِيمٍ﴾ أنهم منغمسون فيها .

﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ ﴾: ﴿ يَصْلَوْنَهَا ﴾ أي يصطلون بنارها، ووهجها، وحرها، فتحرقهم، وتشويهم، والعياذ بالله ، حتى إن النبي ﷺ، أخبر عن قوم من عصاة الموحدين، يدخلون النار(حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ، ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ) رواه مسلم[٣] ، فكيف بأهل النار الذين هم أهلها؟

﴿ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ هو أحد أسماء القيامة، لأنه يوم الجزاء والحساب ، وتقدم أن ليوم القيامة أسماء عدة، بلغ بها بعض العلماء ثمانين اسماً، وأن أسماء القيامة أعلام، وأوصاف، كما أسماء الله الحسنى، وكما أسماء نبيه ﷺ، وكما أسماء القرآن.

﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾: يعني أنهم لا يغيبون عن العذاب طرفة عين، كلما فرغوا من عذاب انتقلوا إلى آخر، عياذاً بالله، وكلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم، أعيدوا فيها، عياذاً بالله.

شيء تقشعر له الأبدان، لمجرد ذكره فكيف بمن اصطلى بناره ؟ وفي هذه الآية ما يدل على بقاء النار، وأنها لا تفنى، وأن أهلها لا يخرجون منها .

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾: هذا الاستفهام، وهذا التكرار، يراد به التفخيم، والتعظيم، والتهويل﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾: كأنما يقال: ذلك الإنسان لم يقدر الأمر حق قدره، "أتدري ما يوم الدين ؟ أتعرف ما يوم الدين ؟" كما قال: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ ﴾ ؛ و﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ ﴾

ثم أجاب الله تعالى على هذا السؤال ، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن، فقال :﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ ولهذا نظير، كقوله﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦]. أي لا تملك أي نفس، لأي نفس أخرى نفعاً، ولا ضراً، (شيئاً) نكرة في

---

[٣] صحيح مسلم (185).

سياق النفي، فتدل على العموم﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾كقوله:﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[الروم:٤].

الفوائد المستنبطة

الفائدة الأولى: بيان أهوال يوم القيامة.

الفائدة الثانية: إثبات البعث من قوله ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾.

الفائدة الثالثة: إقرار الإنسان بعمله يوم القيامة ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

الفائدة الرابعة: وقوع الكافر في الغرور (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾.

الفائدة الخامسة: أن العبادة هي مقتضى الربوبية.

الفائدة السادسة: بديع صنع الله في الإنسان.

الفائدة السابعة :ذم منكري البعث لقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾.

الفائدة الثامنة: الإشارة إلى أحد دلائل البعث، وهو الدينونة، لأنه يحصل بها إحقاق الحق، وإبطال الباطل.

الفائدة التاسعة: الإيمان بالملائكة الكرام ، وهو أصل من أصول الإيمان.

الفائدة العاشرة: خلود النار، ودوام العذاب على أهلها، من قوله ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾.

الفائدة الحادية عشر: بطلان الشرك، وكل تعلق بغير الله، وهذا يؤخذ من الجملة الأخيرة من قول اللهﷻ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾، ومن تعلق بغير الله وكل إليه، فكل من تعلق بسبب فإنه ينقطع، إلا ما كان سبباً إلى اللهﷻ؛ من خوف ، أو رجاء ، أو محبة ، أو توكل ، أو نحو ذلك .